



**ورقة عمل بعنوان**

## **" التنوع والحريات الدينية "**

**مقدمة من**

**الشيخ / محمد أحمد حسين**

**المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية**

**رئيس مجلس الإفتاء الأعلى**

**خطيب المسجد الأقصى المبارك**

**إلى**

**اللقاء الدولي الثاني**

**" متحدون لمناهضة العنف باسم الدين: تعزيز التنوع والمواطنة المشتركة من**

**خلال الحوار "**

**فيينا / النمسا**

**26 - 27 شباط 2018م**

## احترام التنوع والحريات الدينية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أنه لا إله إلا الله البر الرحيم، وأشهد أن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وإياهم وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فالاختلاف بين الناس حقيقة واقعة، سواء فيما لم يكن لهم اختيار فيه، أم فيما اختاروه بإرادتهم، فالله خلق الناس بألوان وأجناس ولغات وعقول مختلفة، وجعل ذلك آية دالة على عظمته وقدرته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

فالتنوع البشري من هذا الجانب واضح للعيان، ففيهم الأسود والأبيض، وفيهم العربي والأعجمي، وفيهم العالم والأحمق... إلخ. والشريعة الإسلامية تمنع أن يدفع هذا الاختلاف إلى التباعد بين الأنواع المختلفة من الناس.

والناس مختلفون كذلك فيما اختاروا بأنفسهم، من العقائد والأفكار والمناهج والسلوك، لكن تعايشهم مع اختلافهم أمر ممكن، فالله أرسل لهم الرسل، عليهم السلام، وأنزل معهم الكتب، وختم الرسالات برسالة الإسلام، فتلك حقائق تجدر مراعاتها عند التعامل مع أتباع الديانات الأخرى، أو القضايا التي تنادي بها تلك الأديان، فالله تعالى يضع القاعدة لهذا التعامل، فيقول سبحانه: ﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ..﴾<sup>(2)</sup>.

فالله لم يرد أن يقضي على التنوع بين البشر والتعدد في المذاهب والتوجهات، وجعل الاختلاف بين الخلق وارد لا محالة، ونتج عن ذلك أصناف من الناس ومذاهب شتى، والله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(3)</sup>، ولو شاء الله لانتصر لبعض البشر على بعض، ولو أراد الله ما أبقي أحداً من مخالفيه، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾<sup>(4)</sup>. ومن مقتضيات التعامل مع حقيقة الاختلاف الواقع بين أصحاب الأديان، أن لا يُجبر أحدٌ على تغيير مذهبه ومعتقده، فنزع الاعتقاد قسراً من الناس خطأ فادح، لأنه لا يوصل إلى الهدف الحقيقي،

1- الروم: 22.

2- المائدة: 48.

3- التغابن: 2.

4- الإنسان: 28.

والمتمثل في الهداية الحقيقية، عدا عما يؤديه النزاع القهري من ظلم للناس، وذلك يتنافى مع قيم الإسلام ومبادئه، ومعلوم أن الله عز وجل نهى عن الإكراه في الدين، فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (1).

ويوجه الله جل شأنه رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، ليقول لمجادليه غير المسلمين، الذين يرفضون الانتماء لدينه، فيقول عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (2).

وجاءت آيات أخرى تؤكد على أن اختلاف البشر في معتقداتهم وشرائعهم يقع في إطار مشيئة الله تعالى، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (3)، ويقول تعالى: ﴿... بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (4).

وبما أن التعددية العقائدية أمر واقع لا محالة، فينبغي للناس التعامل مع هذه القضية من هذا المنطلق، فالله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ...﴾ (5).

والإسلام لم يكتف بإتاحة الحرية لأتباع الديانات الأخرى، بل أمر ببرهم والإحسان إليهم والقسط، إذا كانوا مسالمين غير حربيين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (6).

1 - البقرة: 256

2 - سورة الكافرون.

3 - هود: 118.

4 - الرعد: 31.

5 - الكهف: 29.

6 - الممتحنة: 8-9.

## دور الدول في صون الحريات وحماية التنوع

لا شك أن صون الحرية والتنوع مسؤولية جماعية، لكنها منوطة بالدرجة الأولى بالجهات المسؤولة؛ لأن بيدها فرض النظام العام، وتطبيق القوانين، مع الصلاحيات الواسعة المتاحة لها، وقد ورد في ذلك أثر يكتب بماء الذهب، ومنار لكل من تولى من أمر الناس شيئاً، وهو أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، كتب عهد مالك الأشتر النخعي حين ولاه مصر، وهو من العهود البليغة، بين فيه معالم التقوى وسياسة الملك، ومما جاء في هذا الكتاب:

"... أشعر قلبك بالرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن عليه سبعا ضارياً، تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان؛ إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليهم فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم، وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله" (\*).

ويمكن إجمال المطلوب من الجهات المسؤولة في الدول لصون الحريات والتنوع، بالآتي:

1. سن قوانين واضحة تصون الحرية، وتحمي التنوع، تتفق مع الشرائع الإسلامية.
2. محاسبة المعتدين على الحريات والتنوع، والعمل على رفع الظلم عن الفئات التي تتعرض حرياتهما للاضطهاد.
3. محاربة الأفكار المتطرفة.
4. نشر ثقافة التنوع، وصون الحريات من خلال المنابر الإعلامية المختلفة.
5. إدراج قيم الحرية والتنوع في المناهج التعليمية.
6. إعانة المؤسسات الدينية على نشر مبادئ الحرية والتنوع.

\* مآثر الإنافة: 7 / 3.

## خاتمة

هذه نظرات بجملة لمناحي الحرية والتنوع في الإسلام، تؤكد على أن الاختلاف بين الناس أمر واقع لا محالة، وأن الإسلام لا يطلب من المسلم أن ينعزل عن الآخرين، فهو يعايش غيره، ويحاور مخالفه، ولا يعني تعايشه مع الآخر، قريباً كان أو بعيداً أن يقف موقفاً سلبياً في مواجهة سلبيات القيم والسلوك، التي قد تقضي نتائجها على الأخضر واليابس داخل المجتمع، الذي تنتشر فيه، وقد تمتد نارها إلى المجتمع الإنساني، والرسول صلى الله عليه وسلم حذر من هذا المنحى في المواقف، فقال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا، إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤَدِّ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا).(\*)

راجياً لهذا المؤتمر الكريم التوفيق في تعزيز ومعاودة الحوار الواعي بين أتباع الأديان، من أجل سلام البشرية جمعاء.

\* صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه.